المجلة العربية، جامعة داكا

المجلد ٢٣، العدد ٢٥، يونيو ٢٠٢٢ م، ص. ١١٩–١٢٨

قصيد"اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها" لحافظ ابراهيم: دراسة تحليلية

الدكتور محمد نصير الدين *

Abstract

Qasid 'Al- Lugah Al-Arabiyyah Tan'a Haẓẓaha Baiyna Ahliha' Li Hafiz Ibrahim: Dirasah Taḥliliyyah

Many Languages are spoken in the world. The diversity of human languages and colors are sign of Allah, for those of knowledge (Al-Quran, 30:22). Although the Arabic language originated in the Arab world, this language spread to many parts of the world because of Islam. The wonderful feature of Arabic language is the Qur'anic language which is usually called classical Arabic by scholars as the Qur'anic language is still used intact in various Arab inhabited areas. Arabic is a strong, rich and advanced language. The Abbasid period (750-1258) is known as the golden age of Arabic language and literature.

In 1258, Mughals invaded Baghdad; as a result, the Muslim civilization and basic writing style of Arabic literature almost closed. Many libraries were wiped out. Since then, all publications in the Arabic language and literature have been written in the previous style. The poet Mohammed Hafiz Ibrahim (1872-1932) mentions pictures of the Arabic language and literature from the distance past to the present with great regret in the current poem. Such a misery of a rich language is a matter of regret to him and to Arabic speakers and Muslims.

In 1798, Napoleon Bonaparte (1769-1821) occupied Egypt; since then, good relationship has been developed between the Arab and the Europe which began the Renaissance in the Arabic language and Literature. As a result, the path of various possibilities was opened, and there was a revival of the Arabic language and literature.

* أستاذ مشارك، قسم العربية، جامعة داكا
nasir@du.ac.bd

Arabic is state language of many countries in the modern world. Arabic is one of the recognized languages of the United Nations. Arabic is an essential language of world trade and commerce. The purpose of this Article is to present a general idea of Arabic language, in the light of Hafez Ibrahim poems "اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها" for those who are not deeply familiar with the Arabic language and literature.

Keywords: Arabic, Arabic language and globalization, Hafez Ibrahim, Napoleon Bonaparte.

نشأت اللغة العربية من القبيلة البدوية في المنطقة الصحراوية لشبه الجزيرة العربية. واللغة العربية تحتوي على ٢٨ أحرف. تكتب اللغة العربية من اليمين إلى اليسار مثل اللغة العبرية والفارسية و الأردية. تسمى اللغة العربية "لغة الضاد" لأن حرف الضاد موجود فقط بهذه اللغة في جميع أنحاء العالم. لغات العالم الأخرى مكتوبة بالأبجدية العربية أيضًا مثل: اللغة التركية سابقا و الكردية، والملايوية، والفارسية، والأردية. وكذلك اللغة العربية فقد أثرت في مختلف لغات العالم مثلاً: الكازاخستانية، التركية، الفارسية، الأردية، البنغالية، والهندية، والماليزية، والمالديفية، والأندونسية وغير ذلك. اللغة العربية هي اللغة الحكومية لحوالي ٢٢ دولة في أفريقيا وآسيا. ويتحدث اللغة العربية أكثر من ٤٦٧ مليون شخص في جميع أنحاء العالم على الرغم من أنهم يعيشون في الغالب في مناطق واسعة في جميع أنحاء الشرق الأوسط و شمال أفريقيا.

العربية الفصحى هي شكل فريد من أشكال اللغة المستخدمة في وسائل الإعلام، والصحف، والتقارير الرسمية. العربية العامية هناك العديد من الأشكال التي تستخدم في المحادثة، وهي تختلف من دولة إلى أخرى. اللغة العربية لغة الأمم المتحدة وهي لغة العبادات لجميع المسلمين في العالم؛ وهي لغة القرآن الكريم كما قال الله سبحانه وتعالى: **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** (Al-Qur'ān,12:2).

اللغة العربية هي إحدى اللغات في العالم، وتأتي في المرتبة الثانية بعد الصينية من حيث أهمية العالمية و عدد المتحدثين بها. المفردات العربية ١٢ مليون كلمة، ٤ ملايين لفظة مستخدمة، مع مرور الوقت أهملت ٨ ملايين لفظة. ومن ناحية أخرى هناك ٢٠٠ ألف كلمة باللغة الصينية و ١٥٠ كلمة باللغة الأنجليزية. و عدد لغات العالم ٢٧٠٠ لغة، تموت مئة لغة رئيسية كل قرن، وتموت ٥٠ لهجة كل عام. ثم تولد مائة لغة جديدة كل قرن. ماتت جميع اللغات الموازية للغة العربية قبل عصر النبوة و بعده و بقيت اللغة العربية فقط . اللغة العربية هي الأم وهي الأولى بسبب اعتدال الصوت. قال الله تعالى: **ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ ٱلْكِتبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا** (Al-Qur'ān,18:1).

كل اللغات مثل البشر والنباتات والحيوانات، لها دورة حياة. يولدون و يمرّون بمراحل مختلفة من الصبا والشباب والشيخوخة وأعواج، ثم الموت. لكن اللغة العربية لن تنحرف و لن تموت أبدًا. عدد اللغات التي يتحث بها البشر منذ آدم عليه السلام حتى يومنا هذا يقترب من ألف لغة و توفي منها ٤٠٠ لغة، وستبقى اللغة العربية إلى يوم القيامة. لأن العربية لغة القرآن الكريم، وعلى هذا قال الله تعالى: **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحفِظُونَ** (Al-Qur'an,15:9).

سنحاول في هذه المقالة المختصرة مناقشة "الأخطاء التي ينسبها نقاد اللغة العربية" مثل العقم والركود والضعف وعدم القدرة على تسمية الاختراعات الحديثة في ضوء شعر حافظ ابراهيم. ثم سنراجع القصيد ونحللها من خلال تصنيف محتواها.

ومن قبل أن نورد في صلب البحث ينبغي أولاً أن أقدم حياة الشاعر حافظ ابراهيم كما يلي:

نبذة وجيزة عن حياة الشاعر

ولد حافظ بن إبراهيم فهمي المعروف بشاعر النيل في الرابع من فبراثر في عام ١٨٧٢م في سفينة ترسو على شاطىء النيل أمام بلدة ديروط، مصر. وكان أبوه ابراهيم آفندي مصريا صميما، يعمل مهندسا، و كانت أمه "هانم كريمة بنت أحمد البورصه لى بك" من أسرة تركية الأصل (Qabbish 1971, 86).

عاش إبراهيم حياة اليتيم حيث فقد أباه وأنه في الرابعة من العمر. انتقل مع أمه إلى القاهرة ليسكن في كفالة خاله، وهناك ابتدأ تعليمه الابتدائي من المدرسة الخيرية، ثم التحق بعدد من المدارس آخرها المدرسة الخديوية. ولما انتقل خاله إلى طنطا فانتقل هذا اليتيم مع أمه إلى طنطا، ولكن لم تطب له الحياة فيها. لأنه أصبح في طنطا بلا مدرسة ولا عمل، فتوجه إلى المحاماة للعمل ثم تركها والتحق بالمدرسة الحربية و تخرج منها برتبة ملازم أول و هناك تم تعيينه في الحرب. ثم عيّنه ضابطا بالسودان حيث لم يطق حافظ جو السودان و لاجفاء العيش فيها، فثار مع بعض الضباط في عام ١٨٩٩م. اتهم فيها ثمانية عشر ضابطا وكان منهم هذا الشاعر فحكموا عليه واحيلوا على الاستيداع. التمس حافظ إحالة إلى المعاش فأجيب طلبه وبقى فترة طويلة بلا عمل. فيضطرب نهاره من قهوة إلى قهوة وينقلب ليله من مجلس إلى مجلس؛ وكانت له صلة وصداقة مع أحمد حشمت باشا الذي ساعده على تعيينه على منصب رئيس القسم الأدبي في دار الكتب المصرية عام ١٩١١م، ثم عيّن وكيلا للدار وظل بها يعمل حتى فبراثر عام ١٩٣٢م. و توفي حافظ إبراهيم في الساعة الخامسة من صباح الخميس ٢١ يوليو عام ١٩٣٢م (Al-Zayyat N.D, 504-505).

عبقريته الشعرية

إن حافظ إبراهيم كرس حياته بعد استقالته للقراءة و عكف على الدراسة لأمهات الكتب العربية الأدبية القديمة التي أيقظت موهبته الأدبية الشعرية و دفعته إلى أن يقرض الشعر على منوال الشعراء المتقدمين أمثال: أبو نواس، بشار بن برد، والبحتري و آخرون. وأكثر ما نطق به لسانه عن غمة اليأس؛ فكل ما يضطرب في نفسه يستوعبه استيعاباً رائعا و يحوله شعرًا (Ḍaif 1941, 107).

وكان له رتبة العلياء في الأدب والثقافة فحاول حافظ ابراهيم أن يوقظ القوم بشعور الحرية الشخصية والمزايا الفردية. فهو شاعر الحياة القومية في كلامه عن اللغة الفصحى (Al-ʻAqqād 1937, 16).

إن القصيد "اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها" لحافظ إبراهيم من إحدى قصائده الشهيرة، ويتكون القصيد من ثلاثة وعشرين بيتًا. نظمها حافظ عام ١٩٠٣م دفاعًا عن اللغة الفصحى و جوابًا عن أعداء اللغة العربية لاسيما الأنجليز في مصر الذين يتخذون كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية ويجعلون العامية[١] لغة للعلم والأدب. فليست هذه القصيدة مجرد نص شعري بل أنه نظمها عن فكرة رئيسية و هي الدفاع عن اللغة الفصحى و بيان فضلها و تقديمها على العامية؛ لأنها لغة القرآن والأحاديث النبوية.

فعلينا الآن أن نبين مرتبة اللغة العربية الفصحى على اللغة العامية على ضوء القصي -اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها– كما يلي:

تحليل القصيد

إن اللغة العربية التي يعتز بها أهل العرب والمسلمون من جميع أنحاء العالم و يفتخرون بها فهي لغة القرآن و لغة الأحاديث النبوية صلى الله عليه وسلم. وفي هذه القصيدة المشهورة استخدم شاعرنا كثيرًا من الجمل الإنشائية من نهي و استفهام و تعجب و رجاء. مثل: "فلا تكلوني"، "أيطربكم"، "فكيف أضيق اليوم"، "بسطت رجائي" وغير ذلك. كذلك عبّر الشاعر موضوعه بألفاظ سهلة موافقة للمعنى بحيث لاتحتاج الرجوع إلى المعاجم. وقصيدته ملونة بعاطفة دينية تموج بالحب والغيرة على الأمة المسلمة حتى لايخلو النص من الصور الخيالية من حيث حوّل الشاعر اللغة العربية شخصًا يتكلم عن نفسه، فيتحدث: "رجعت لنفسي..." كما أن الشاعر قد استعمل الاستعارة التصريحية في قوله: "لعرائسي" حيث شبه كلماتها بالعرائس و حذف المشبه و بيّن بالمشبه به على قاعدة الاستعارة التصريحية، بقوله: "وأدت بناتي" و استخدم التشبيه البليغ أيضًا في قوله: "أنا البحر...."، والتفاصيل كمايلي:

(أ) بداية القصيدة والتأسف حول اللغة العربية وجواب المعاندين

في بداية القصيدة تحدث الشاعر مع المشاعر النفسية والأحاسيس الذاتية على لسان اللغة العربية و نطقها بلوم و عتاب و صوّرها بصورة الشخص الذي ينعى نفسه قبل وفاته، إذ قال الشاعر:

رَجَعْتُ لنَفْسِي فَاتَّهَمْتُ حَصاتِي ** و نادَيْتُ قَوْمِي فَاحْتَسَبْتُ حَياتِي
رَمَـوْنِي بعُقْمٍ في الشَّبابِ و ليْتَني ** عقِمْت فلَم أَجْزَعْ لقَولِ عُـــداتِي
(Ibrāhīm 1948, 253)

بدأ الشاعر القصيدة بشكوى اللغة العربية، كأنها حزينة باكية من أجل اتهامها بالجمود والعقم و عدم مواءمتها لمتطلبات العصر الحديث. وتندهش اللغة من هذا الاتهام، برغم أنها تتميز عن باقي اللغات ببلاغتها و فصاحتها، وتتمنى لو كانت كما يقولون عنها حتى لا تجزع و تحتمل اتهامات أعدائها.

ثم تكمل اللغة العربية الدفاع عن نفسها وتقول:

وَلَدْتُ و لمّا لَمْ أَجِـــدْ لعَرائسي ** رِجـــــــالاًو أَكْفاءً وَأَدْتُ بَنَاتِي
(Ibrāhīm 1948, 253)

اللغة العربية هي لغة معطاء و منجبة. فهي تحتوي ثروة ضخمة من الألفاظ إلا أنها عندما لم تحظ بالذي يحفظ أسرارها و يبرز جمالها و يحسن استعمالها انطفأت بريقها. فحكمت على نفسها بالدفن وهي مازالت حية.

(ب) مكانة اللغة العربية ومجدها

يتصور الشاعر اللغة العربية إنساناً كاملاً يتكلم عن نفسها. وإن اللغة العربية تدافع عن نفسها على أعدائها بالافتخار متصفة نفسها بالبحر الواسع الذي يمتلأ الدرر الثمين في أعماقه؛ و هو الذي تحثنا على استخراج الدرر النفيسة والاستعانة بمن يحب اللغة العربية ويعرف أسرارها بعمق. وقال:

أنا البَحْرُ في أَحْشائِـه الدرُّ كامِنٌ ** فهل سَأَلوا الغوّاصَ عن صَدَفاتِي
(Ibrāhīm 1948, 254)

ثم تستنصر اللغة العربية أبناءها و تحذرهم بألاّ يتركوها للزمان، ولايسلموها إلى أيادي أعدائها، فهي تخاف أن تحين وفاتها فتختفي و تندثر و تفني اللغة و يصبح العرب جميعهم بلا هوية و لا لغة كما قال الشاعر:

فلا تكِلُوني للزّمـــــــان فإنّني ** أَخـــافُ عليكمْ أَنْ تَحِينَ وَفَاتِي
(Ibrāhīm 1948, 254)

يكني الشاعر بهذا البيت عن حزن اللغة العربية و يخيف فناءها و وفاتها فينبغي لأهل اللغة أن تهتم اللغة من حيث مكانتها و مجدها.

(ج) مرتبة اللغة العربية

يؤكد حافظ إبراهيم أن الأخطاء ليست في ذات اللغة لأنها وسعت في ماضيها كتابَ الله تعالى عز وجل حينما استخدمه بطريقة معجزة و سيطر عليه ببراعة وبلاغة حيث قال الشاعر:

وسعْتُ كِتـابَ اللهِ لَفْظاً و غــايةً ** و ما ضقْتُ عن آى بـــه و عظات
فكيف أَضيقُ اليوم عن وَصْف آلةٍ ** و تنسيق أسماءٍ لمُخْترعـــــات؟

(Ibrāhīm 1948, 253)

وبذلك تخبر اللغة العربية بأنها ليست لغة عاجزة. ودليله أنها احتوت جميع أحكام الدين و شرائع الإسلام. ولم تعجز عن هدف أو بينة أو موعظة من البيان الواضح. كيف يمكن أن تفشل الأمة العربية اليوم في وصف المكتشفات التي تم إنشاؤها بالاختراعات الجديدة التي تمكنوا من التعبير عنها في الماضي؟

(د) نظرية الإفرنج وأصل اللغة

اللغة العربية (رغم عصيانها وهجرها وتعلقها بأطراف اللغات الأخرى التي تتعارض مع أذواقها العربية وتقاليدها الأصيلة) تدعو إلى المغفرة والتسامح لأهلها. ويريد الشاعر أن يقول هنا اللغة العامية والأعمال الأدبية التي تسرى فيها العجمة مثل سم الأفعي فتنزع قوتها وتألقها وتلفظها بضعف اللغة العربية. وسيأتي ثوب مزدوج مزين بألوان غير متطابقة للأمة. قال الشاعر:

أَيَهْجُرُنى قــومي–عفى اللهُ عَنْهُمُ– ** إلى لُغَـــــــــةٍ لَمْ تتّصلْ برُواة؟
سَرَتْ لُوثَةُ الإفْرِنْج فيها كما سَرَى ** لُعـــــابُ الأَفاعِي في مَسِيْلِ فُرات
فجــاءَتْ كثَوْبٍ ضمّ سَبعِين رُقْعَةً ** مُشَكّلةَ الأَلْـــــوان مُخْتَلِفاتِ

(Ibrāhīm 1948, 255)

معنى القصيدة تعجب اللغة العربية و تقول لأبناءها : أتهجروني هكذا؟ وتستبدلوني بلغة جديدة ليس لها أصل و لا تعلق معي. ثم يقول إن اللغة العامية هي خليط ضعيف وقد بث الإفرنجيون فيها سمومهم يعني غيّروا ألفاظها فتلوثت كما يلوث سم الأفاعي الماء العذب، وصارت اللغة العربية كالثوب الذي يمتلأ بالرقع المتعددة الألوان و الأشكال، بما دخل عليها من الألفاظ الكثيرة من لغات و لهجات متعددة.

(هـ) الفخر بكبار اللغويين والعلاج على خللهم

في هذه الأبيات التالية يخاطب الشاعر للناطقين باللغة العربية الفصحى مستنكرة أيفرحكم من جانب الغرب صوت الغراب الذي ينادي بدفني حيةً وأنا في ربيع حياتي. وقال:

أَيُطربُكُمْ منْ جانِب الغَرْب ناعبٌ ** يُنادِي بوَأدي في رَبيـــعِ حَياتِي
ولو تَزْجُرُونَ الطّيرَ يومـــا عَلِمْتُمُ ** بمـــــا تَحْتَه منْ عَثْرةٍ و شَتات

أَرى كلَّ يـــــومٍ بالجَرائِد مَزْلَقًا ** منَ القَبْر يَدْنِيني بغَيْـــــر أَناة
وأسْمَعُ للكُتّاب في مِصرَ ضَجَّـــةً ** فأَعْلَمُ أنّ الصَّائحِين نُعـــــاتِي
(Ibrāhīm 1948, 254-255) **

ثم يوضح الشاعر أن هذه المؤامرة على لغة العرب جاءت و ذهبت لتتعرف عليه طيور السماء ويريد تحذير الناس من هذه المؤامرة. ويشير الشاعر في البيتين الأخرين ما تواجه من الأخطار التي تجرفها للهاوية، فهي كل يوم تجد الزلات والعثرات والأخطاء تملأ الصحف. وهذه العثرات تقربها من النهاية بلا تمهل ولا تأخر. ثم تواصل اللغة بالتمني إلى أن يعودوا مجدها و عزتها و أنها تسمع دعوات الكتاب الذين يدعون إلى العامية معلنة عن نفسها بأنها لغة لحياة الفكر والثقافة. فالآن سيعلنون وفاتها ونهايتها و يعتقدون بأنها جريمة كبرى.

ثم يدعو الشاعر إلى الماء "وهو دعاء تمجده العرب" شفقة على أهل حضارة اللغة المتربصة تحت التراب، لأنه كان من الصعب والمؤلم عليهم إضعاف اللغة أو فقد قيمتها و كرامتها. واستمر شاعر النيل حافظ إبراهيم في وصف حزنه على حضارة اللغة العربية وأحفادها الذين حافظوا على تراثها في وقت كانت فيه موطنًا لإدعات مفعمة بالحيوية الملونة. الغربيون اتخذوا موقف الطلاب من لغة العرب، و كان الشرق يطلب لها المؤدة والرضاء، وحُفظت العلوم والأسماء العربية في اللغة الغربية لتذكيرهم بتلك الهدية العظمى. و لاشك أن الشرق يتمنى أن يعود إلى ماضيه أيْ اللغة الفصيحة و يهجر اللغة العامية لما أن اللغة الفصيحة فيها مجد وشرف و فخر للناطقين بها. فقال الشاعر:

سَقَى اللهُ في بَطْن الجَزيرة أَعْظُمًا ** يَعز عليهـــــا أنْ تَلِينَ قَناتِي!
حَفظْنَ ودادي في الْبِلى و حفظْتُه ** لـــــــهنّ بقَلْبٍ دائم الحَسَرات
و فَاخَرْتُ أَهلَ الغَرْب والشرقُ مُطْرِقٌ ** حَيـــــاء بتلكَ الأَعْظُم النَّخرات
(Ibrāhīm 1948, 254)

(و) وصية الشاعر لأهل اللغة الفصحى و نداءه للكتّاب

وفي نهاية القصيدة توجه اللغة رجاءها بعد أن بسطت شكواها، وأوضحت لهم الخطر المحدق لها. و يقول الشاعر: يا معشر الكتاب! ينبغي عليكم أن يؤمنوا بلغتكم العربية الواسعة المفتوحة أبوابها فتجدوا فيها السعادة والراحة من كل جديد و عتيد. أو يكون مصيركم إلى الفناء والموت؛ ولكن موت اللغة العربية ليس كموت أي لغة بل موت للأمة المسلمة. فقال:

إلى مَعْشَرِ الكُتّابِ و الجَمْعُ حافلٌ ** بَسَطْتُ رَجائِي بَعْدَ بَسْطِ شَكاتي
فَإمَّـا حَياةٌ تَبْعَثُ المَيْتَ في البِلَى ** وَتُنْبِتُ في تِلْكَ الرُّمُوس رُفـــاتِي
وَإِمَّا مَمـــــاتٌ لا قِيامةَ بَعْدَهُ ** ممـــاتٌ لعمري لَمْ يُقَسْ بِمَمَاتِ
(Ibrāhīm 1948, 255)

في الختام نستطيع أن نقول إن اللغة العربية لغة نقية خالصة من أي مفردات أعجمية أو أجنبية، كما بيّنها القرآن الحكيم – بلسان عربي مبين. حافظ ابراهيم شاعر نهر النيل قدّم القصيد مدافعًا عن اللغة العربية، التي يفتخر بها العرب والمسلمون في حينٍ دارت حوله استفزازات وتلميحات في الأوساط الرسمية والأدبية. هناك فريق مؤهل لاستغلالها في الأدب الحديث والعلم والمعرفة، وفريق دعا إلى اللغة العامية، وفريق يتهمها بالقصور والبلى وبالضيق عن استيعاب العلوم المعاصرة. في الحقيقة اللغة العربية تحفظ كتابات العرب وقوانينهم و كان بها انتشار علومهم و آدابهم. فنظم حافظٌ القصيد يخاطب أهلها ويستثير ولاءهم لها وإخلاصهم لعرائسها وأمجادها إنكارًا عمّا دعاه وليم ولكوكس من اتخاذ اللهجة العامية.

وليس من المستغرب أن يكون هذا صحيحًا، لأن النص لا يخلو من الصور الخيالية التي تقرب المعنى و تجسده. استخدم الشاعر أساليب التشخيص منذ بداية القصيد، حيث حوّل اللغة العربية إلى شخص يتحدث عن نفسه،و جعلها أُمًا تتكلّم وتشكو عقوق أبنائها لها. في هذه القصيدة ظهرت عاطفة شاعر النيل حافظ إبراهيم حول اللغة العربية، وهي عاطفة دينية تموج بالحب والغيرة على الأمة المسلمة لجميع العالم. وبهذه القصيدة أعلن حافظ ابراهيم أن اللغة العربية لغة واسعة يمكن تشريح القرآن الكريم بعبارة واضحة قوية.

المراجع والمصادر

١. الدعوة إلى العامية

اللغة العربية أقدم اللغات و أقواها أصالة و أوسعها تعبيرًا كما وصفها القرآن الحكيم. قال الله تعالى: **بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ** (Al-Qur'ān, 26:195). اللغة العربية دخلت في مختلف لسان العالم وكانت العربية لغة حضارة بتجربة ضخمة. و تنافست بعض اللغات المحلية الدارجة للعربية الفصحى (Al- Ṣāliḥ 2014, 349-351).

كان أهل العرب قد بلغوا في أرضهم شأنا مهما في اللغة والأدب. وكانوا يتكلمون بلغة عربية مبينة (لهجة قريش و لهجة تميم). ولما دعا النبي عليه الصلاة والسلام إلى الإسلام والتوحيد و معه القرآن الكريم الذي أنزله الله بلسان عربي مبين فاشتد الأمر بإتمام الاهتمام على نشر التوحيد في الجزيرة العربية الواسعة و في كافة العالم. و يختلط العرب بالأعاجم عمومًا (Al-Iskandarī 1912, 8-9). و اعتنق الناس الإسلام و دخلوا في دين الله أفواجًا حيث اجتمعت فيه الأمة المتفرقة والألسنة المختلفة، و هو سبب فساد العربية الفصحى.

وحاول خليفة المسلمين علي بن أبي طالب رضى الله عنه تحديد قواعد اللغة العربية ثم طلب من أبي الأسود الدوئلي (المؤسس لعلم النحو) توسيع هذا القسم (Al-Andalusī 1984, 21). وفي نهاية القرن الثاني للهجرة، أدرك العرب أن هناك تهديدا مدمرا لسلامة اللغة العربية، فاستجاب علماء اللغة في تأليف الكتب التي كان هدفها حماية اللغة العربية وسلامتها.

كيف ظهرت العامية

لما ظهرت الفتوحات الإسلامية و اختلط العرب مع غير العرب فحينئذٍ دخلت بعض المفردات الأجنبية إلى العربية التي ليست لها علاقة عن أصل العربية و أصالتها. كانت هناك لهجات متعددة في الجغرافية الشاسعة التي شملت العالم العربي بأكمله. و أما لغة الفصحى فهي لغة التعليم والتدريس ولغة الديوان يعني اللغة الحكومية (Fukk 1980, 26-27).

في العصر الأموي، وجدنا الكوفة والبصرة أهم مدينتين عربيتين، حيث تم الجمع بين اللغة العربية واللغات الأجنبية، قد مزجت أهلها بالشعب العربي بالتزاوج، وتأثروا بأمهم في نطق الحروف والكلمات المنطوقة فصارت عربية الفصحى غريبة عن البيت والبيئة الاجتماعية وحلت مكانها اللهجات العامية (Al-Abrashī 1947, 13-14).

في العصر العباسي فقد تغشى العامية، خصوصًا في القرن الرابع الهجري، عندما انتشرت لهجة المحادثة مع اللغة العربية الفصحى و أصبحت اللغة الفصحى غريبة عن البيئة الاجتماعية و صارت العامية طريقا سالكا إلى صنف من أشعار العرب مثلاً: شعر الزجل، المواليا، والكان ماكان، والقوما وغيرها حتى صارت عادة أكثر الناس تتحدث بلغة العامية و أقلهم بلغة الفصحى (Amīn 1946, 2/99,122).

الخلفية التاريخية لاستبدال اللغة العامية مكان اللغة الفصحى

بدأت المكالمة في أواخر عام ١٨٨١م عندما اقترح "المقتطف" (جريدة مصرية) أن يكتب العلم باللغة التي يتحدثون بها الناس في حياتهم اليومية أيْ اللغة المحلية. ثم ارتفعت هذه الأصوات حين ألقى "وليم ولكوكس" (١٨٥٢–١٩٣٢م) عام ١٨٩٣م على موضوع (لِمَ لمْ توجد قوة الاختراع لدى المصريين؛ سوريا ومصر و شمال أفريقية و مالطة تتكلم البونية لا العربية) الدعوة لمحاربة الفصحى في الكتابة والقراءة لعدم وجود الاختراع لدى المصريين بسبب جمود اللغة العربية و صعوبتها و تخلفها عن حاجة العصر. وفي هذه المحاضرة قدمتْ أنّ لغة سوريا، مصر، وشمال أفريقيا ومالطة تتكلم البونية لا العربية (Nafūsah 1964, 33,37).

ثم ظهرت القضية مرة ثانية في بداية السنة ١٩٠١ ميلادية عندما كتب قاضي مصري من الأنجليز– وهو القاضي لسلدن 'ولمور' "العربية المحكية في مصر" وضع لها فيه قواعد، وأساليب اتباعًا للمناهج

الأروبية في البحوث اللغوية الحديثة. و في عام ١٩٠٢م ألف كتابًا "لغة القاهرة" كتبه بالحروف اللاتينية. وفيه دعا المؤلف كتابة العربية بحروف لاتينية و اتخاذها لغة أدبية. ويقصد المؤلف بتلك الدعوة هدفًا من أهداف الاستعمار البريطاني، وهو فصل المسلمين والعرب عن ماضيهم و تفتيت وحدتهم اللغوية (Nafūsah 1964, 25-26). فالأنجليز تارة ينادون إلى العامية دعوة صريحة، وتارة إلى التوسط فيما بين الفصحى والعامية و تارة ثالثة إلى فتح باب التطور والتحديث في اللغة. فقام الكتاب ضدهم وكتب حافظ ابراهيم (المشهور بشاعر النيل) قصيدته الشهيرة التي تحدث فيها عن حالة اللغة العربية الفصحى (Ḥusain 1978, 148-149).

References

Al-Qurānul Karīm

Ibrāhīm, Ḥafiẓ (ed. Aḥmad Amin Bek, Aḥmad al-Jain, Ibrahim al-Abyari). 1948. *Diwan Ḥafiẓ Ibrahim*. Egypt: Wajarah al-Ma'arif al-'Umumiyyah.

Amīn, Aḥmad. 1946. *Ẓuhrul Islam*. Cairo: Maṭba'atu Lajnatu al-Ta'lif wa al-Tarjumatu wa al-Nashar.

Al-'Abrashī, Moḥammad 'Aṭyah. 1947. *Lughatul 'Arab wa Kaifa Nanhaḍu bihā*. Cairo: Maktabatu al-Nahḍah al-Miṣriyyah.

Al-Iskandarī, Aḥmad. 1912. *Tārikhu Ādāb al-Lugh al-'Arabiyyah*. Egypt: Maṭba'ah al-Sa'adah.

Al-Zayyāt, Aḥmad Ḥasan. Nd. *Tārīkh al-Adab al-'Arabī*. Cairo: Maṭba'ah Nahḍah Miṣar.

Ḍaif, Shawqī. 1941. *Al-Adab al-'Arabi al-Mu'āṣir Fi Miṣr*. Cairo: Darul Ma'ārif.

Al-'Aqqād, 'Abbās Maḥmud. 1937. *Shu'arā'u Miṣr wa Bīātuhum Fī al-Jīl al-Maḍī*. Cairo: Maṭba'ah Maktabah al-Nahḍah al-Miṣriyyah.

Fukk, Yuhān (tr. Dr Ramḍan 'Abd al-Tawwāb). 1980. *Al-'Arabiyyah Dirāsat Fī al-Lughah wa al-Lahjāt wa al-Asālīb*. Egypt: Maktabah al-Khanjī.

Qabbish, Aḥmad. 1971. *Tārīkh al-Shi'r al-'Arabi al- Ḥadīth*. Beirūt: Dar al-Jīl.

Nafusah, Jakariya Sa'īd. 1964. *Tārīkh al-Da'wah Ilā al-'Āmmiyyah wa Āthāruhā Fī Miṣr*. Egypt: Daru Nashar al-Thaqafah bil Askandariyyah.

Ḥusaīn, Muḥammad Muḥammad. 1987. *Azmah al-'Aaṣr*. Riyaḍh: Daru 'Ukaẓ.